الأَديبْ و المُفكِّرْ الرَّاحِل
رَمَضان عَبْدِ الرَّحْمن لاَوَنْد
﴿ ليالي الأصفهاني في كتاب الأغاني ﴾

سائب خاثر

المقدمة الموسيقية.....

المقدمة الغنائية..

أبو الفرج: كان سائب خاثر مولى بني ليث إنتقل بولائه إلى عبد الله بن جعفر وقال ابن خرداذبة: قدم رجل فارسي يسمى نشيط ، فغنّى فأعجب به عبد الله بن جعفر فقال له: سائب خاثر أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسي بالعربية ثم غدا على عبد الله بن جعفر وقد صنع له لحن: " أفاطم مهلا بعض هذا التدلل "..

ضجة جمهور وصراخ أطفال كما في مناسبة عيد ثم ينخفض الصوت شيئاً فشيئاً في أثناء الحوار ويتخلل هذا كله لحن موسيقي يسكت مع سكوت الضجة.

عبد الله بن جعفر: أين كنت يا سائب؟

سائب: كنت أبحث عنك يا سيدي.

ابن جعفر: كنت أحب أن تكون إلى جانبي قبل قليل.

سائب: لعلك تريدني أن أسمع غناء نشيط الفارسي؟

ابن جعفر: أي والله يا سائب..فقد أعجبني ما سمعت منه فهو بحق نشيط في اسمه وفي معناه..إنّ له من البراعة في الآداء والجمال في الحنجرة ما هو جديد بالاهتمام.

سائب: إنّه كلما تقول يا سيدي..لكن ما عندي لا يقل براعة حسن أداء عما عنده.

ابن جعفر: وهل تعرف هذه الصنعة يا سائب؟ إنّ عهدي بك أنّك تاجر أطعمة.

سائب: وهل تحول التجارة دون اتفاق صنعة التلحين والقوة في الحنجرة والدقة في آداء الأصوات؟

ابن جعفر: ما قصدت إلى هذا..لكنّني فوجئت بما ذكرته لي وحسب.

سائب: أو تحب أن أحمل إليك ما عند نشيط في صوت عربي؟

ابن جعفر: أو تفعل هذا؟

سائب: أفعله إن شاء الله.

نقلة.....

ابن جعفر: الحمد لله..وأخيراً أتيت.

سائب: وهل يعقل أن أتخلف عن الميعاد؟

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

ابن جعفر: لقد ظننت أنّك ترددت في المجيء وقد عجزت عن وضع صوت بالعربية باللحن الفارسي.

سائب: كلا يا سيدي..لست بالذي يعجز عن مثل هذه المحاولة ولا أخفي عليك أنّني قد قمت بها قبل أكثر من مرة دون أن أطلع أحداً عليها.

ابن جعفر: ولماذا أتخفيها عن الناس؟

سائب: كنت أخاف الفشل والعجز في البداية لكنّني بعد الاستماع إلى نشيط ، وهو من تعلم براعة ودقة ، أدركت أنّني لا أساويه وحسب بل أجاوزه بما حققت لنفسي.

ابن جعفر: هل تسمعني؟

سائب: حباً وكرامة.

ابن جعفر: فماذا صنعت؟

سائب: لحناً لمقطوعة من شعر امرىء القيس.

ابن جعفر: أحسنت جداً والله.

ضرب بالعود..سائب يغني...

أَفاطِمَ مَهْلاً بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ صَرْمِي فَأَجْمِلِي

وإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكِ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ

أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قَاتِلِي وأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إلاَّ لِتَضْرِبِي ب سَهْمَيْكِ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

ابن جعفر: " يصفق " أحسنت والله يا سائب..لقد كنت أظنّ أنّ الغناء بالعربية لا يبلغ هذا المبلغ بمثل هذه السرعة..سأرفع أمرك إلى من يحسن صلتك.

سائب: يكفيني ما ألقاه منك يا ابن جعفر..فقد أحسنت إليّ كما لم يحسن أحد إليّ ولي له.

ابن جعفر: بل لا بد من أن أرفع أمرك إلى أمير المؤمنين في دمشق فهو جدير بتشجيع هذا النوع من الغناء..إنّ العربية يا سائب في حاجة إلى مثل الجهد الذي تبذل وأكثر.

سائب: الأمر إليك في كل حال.

أبو الفرج: قال لقيط: وفد عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر فوقع له في حوائجه ثم عرض عليه حاجة لسائب خاثر ، فقال معاوية: من سائب خاثر؟ قال: رجل من أهل المدينة لي ليثي يروي الشعر ، قال: أو كل من روى الشعر يريد أن نصله؟ قال: إنّه حسنه قال: وإنّ حسنه! قال: أفأدخله إليك يا أمير المؤمنين؟ قال: فألبسته محضرتين إزاراً ورداءً فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنى فالتفت معاوية إلى عبد الله بن جعفر فقال: أشهد لقد حسنه! فقضى حوائجه وأحسن إليه.

ابن جعفر: السلام على أمير المؤمنين.

معاوية: وعليك السلام ورحمة الله. إجلس قريباً مني يا عبدالله..قل لي: كيف كانت رحلتك؟

ابن جعفر: كانت متعبة مرهقة ولولا أنّ تجشمتها رغبة في زيارتك لرجعت من حيث أتيت.

معاوية: الخير فيك يا ابن جعفر فأنت الحسيب النسيب..أخ تطمئن القلوب إليه وترجو عنده ما يمتع وما يسر.

ابن جعفر: لئن بلغت في نظر أمير المؤمنين ما بلغت فإنّما أنا بعض ما اتصف به حفظه الله من الحلم وسعة الصدر وطول الأناة.

معاوية: " فترة صمت " وأخيراً ألا ترفع حاجتك إلينا؟

ابن جعفر: قد فعلت يا أمير المؤمنين.

معاوية: لكنّني أعلم أن الناس في المدينة يطمعون في برك ويرجون الخير عندك..

ابن جعفر: الخير كثير يا أمير المؤمنين..وهو بعض عطائك..لقد تفضلت فأسبقت في التفضل.

معاوية: أنت تعلم يا ابن جعفر أنّك موضع ثقتنا والقائم بأمرنا حيث تكون.

ابن جعفر: أطال الله عمر أمير المؤمنين فقد وضعتني حيث تقول من نفسك قبل اليوم..

معاوية: " فترة صمت " يبدو أن في فمك كلاماً تريد أن تقوله؟

ابن جعفر: " بعد تردد " بلى يا أمير المؤمنين فإنّ حاجة أريد أن أعرضها عليك.

معاوية: وهل يحتاج هذا الأمر إلى مثل التردد الذي أشهده؟

ابن جعفر: إنّها ليست حاجتي بل حاجة سائب خاثر.

معاوية: " في تساؤل " سائب خاثر؟ ومن هو سائب خاثر هذا؟

ابن جعفر: إنّه رجل من أهل المدينة ليثي يروي الشعر.

معاوية: هل تريد أن تقول أنّه يغني الشعر؟

ابن جعفر: شيء قريب من ذلك.." يستدرك " أنا أعلم يا أمير المؤمنين أنّك لا تقبل على مثل هذا الفن من فنون القول والصناعة لكن الرجل من رواة الشعر أيضاً.

معاوية: أو كل من روى الشعر يريد أن نصله يا ابن جعفر؟

ابن جعفر: لكنه قد حسنه وأحسنه.

معاوية: وإنّ حسنه وأحسنه.

ابن جعفر: أأدخله إليك ثم ترى فيه رأيك؟

معاوية: " بعد تفكير " أنت تعلم أنّنا لا نرد لك طلباً.

نقلـــــة.....

ابن جعفر: "فرحا": أبشر يا سائب.

سائب: ماذا يا سيدي؟

ابن جعفر: أمير المؤمنين وافق على استقبالك.

سائب: الحمد لله.

ابن جعفر: لا تنسى يا سائب أنّك ستكون لك بعد إلتقائه إحدى نتيجتين: أن تصبح رجل الغناء والطرب في بلاد الحجاز كلها..أو تسقط فلا تقوم لك قائمة.

سائب: الله المعين يا سيدي.." في ارتباك " لكن بم أدخل على أمير المؤمنين في مجلسه.

ابن جعفر: " يفكر " حسن..إلبس هاتين المحضرتين: الأزار والرداء..ولا تنسى أن تجود غناءك..تمام..أنت الآن جدير بمجالسة الملوك..أدخل واحتفظ برباطة جأشك فإذا وقع نظره عليه إرفع صوتك بالغناء واضرب بعودك..

فترة صمت..ضرب بالعود..سائب يغني..

كِلانا بَكى أَو كادَ يَبكي صَبابَةً إِلى إِلفِهِ وَاِستَعجَلَت عَبرَةً قَبلي

فَيا وَيحَ نَفسي حَسب نَفسي الَّذي بِها وَيا وَيحَ أَهلي ما أُصيبَ بِهِ أَهلي

وَلَو تَرَكَت عَقلي مَعي ما طَلَبتُها وَلَكِن طِلابيها لِما فاتَ مِن عَقلي

خَليلَيَّ فيما عِشتُما هَل رَأَيتُما قَتيلاً بَكى مِن حُبِّ قاتِلِهِ قَبلي

ابن جعفر: كيف وجدته يا أمير المؤمنين؟

معاوية: أشهد يا ابن جعفر لقد حسن الشعر وأحسن في الآداء وقد قضينا حوائجه إن شاء الله.

أبو الفرج: قدم معاوية المدينة في بعض ما كان يقدم له ، فأمر حاجبه بالأذن للناس ، فخرج الآذن ثم رجع فقال: ما بالباب أحد فقال معاوية: وأين الناس؟ قال: عند ابن جعفر فدعا معاوية ببغلته فركبها ثم توجه غاليهم فلما جلس قال بعض القرشيين لسائب خاثر: وطرفي هذا من الخز وهو لك إن أنت اندفعت تغني ومشيت بين السماطين وأنت تغني.

معاوية: أيها الحاجب؟

الحاجب: نعم يا أمير المؤمنين..

معاوية: إيذنوا للناس بالدخول عليّ.

الحاجب: " فترة صمت " ليس بالباب أحد يا أمير المؤمنين..

معاوية: فأين الناس إذاً؟

الحاجب: قيل لي أنّهم في دار عبد الله بن جعفر.

معاوية: وماذا في داره؟

الحاجب: إنّه كما سمعت يعقد مجلساً من مجالس الطرب والناس هنا يحبون الطرب ويتنادون للاستماع إليه.

معاوية: حسن..نلحق بهم ونشاركهم فيما هم فيه.

نقلة موسيقية..ضجة أحاديث غير واضحة..ضحكات معتدلة..دورزنة عيدان..الخ..ثم ينخفض الضجيج شيئاً فشيئاً..

قرشي: " يرفع صوته قليلاً " تعال يا سائب.

سائب: ماذا يا أبا محمد؟

قرشي: هل صحيح ما سمعته أمس؟

سائب: وماذا سمعت؟

قرشي: إنّ معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين قد أعجب بغنائك؟

سائب: وقضى لي حاجاتي كلها..

قرشي: هذا والله أعجب العجب.

سائب: وماذا كنت تقول لو علمت أنّه قد آتى ولده يزيد على عقد مجلس طرب في داره وعلى جلب الضاربين بالآلآت من عود ودف وطبل وغيرها وعلى الاستماع إليّ؟

قرشي: وكيف ذلك؟

سائب: حدث هذا في الأسبوع التالي لدخولي عليه في ديوانه.

نقلـــة.....

يزيد: " باحتفال " أهلاً بك يا ابن جعفر..كيف حالك يا عم؟

ابن جعفر: الحمد لله..إنّك تبدو في صحة جيدة.

يزيد: الحمد لله..منذ متى وأنت هنا في دمشق؟

ابن جعفر: منذ أيام قليلة.

يزيد: لعلك تفكر بالعودة إلى المدينة دون أن تلم بنا؟

ابن جعفر: الحق أنّ أمير المؤمنين قد شغلني في الأيام السابقة وقد كنت عزمت على زيارتك أيها الأمير اليوم أو في الغد.

يزيد: حسن..فما هو الجديد عندك؟

ابن جعفر: هل تصدق أنّ أمير المؤمنين قد استمع لصوت مغن في المدينة؟

يزيد: أمير المؤمنين يفعل هذا؟

ابن جعفر: إنّه أكرمني بالإذن له وقد أعجب به أطال الله عمره وقضى حوائجه وأحسن إليه.

يزيد: وما إسم هذا المغني؟

ابن جعفر: سائب خاثر الليثي من رجال المدينة.

يزيد: ولماذا لا نسمعه نحن؟

ابن جعفر: أفلا تغضب أمير المؤمنين بذلك؟

يزيد: ما دام أنّه قد استمع إليه فلا بأس في أن نفعل فعله بعيداً عنه.

ابن جعفر: أنت وما تشاء..

مقدمة موسيقية..سائب خاثر يغني..

و مدلّة عند التبذّل يفتري منها الوشاح مخصّرا أملودا

نازعتها غنم الصّبا إنّ الصّبا قد كان منّي للكواعب عيدا

يا للرّجال و إنما يشكو الفتى مرّ الحوادث أو يكون جليدا
بكرت نوار تجدّ باقية القوى يوم الفراق و تخلف الموعودا
و لربّ أمر هوى يكون ندامة وسبيل مكرهة يكون رشيدا

تصفيق..وكلمات استحسان...

الحاجب: أمير المؤمنين بانتظارك.

يزيد: وهل هناك جديد؟

الحاجب: كل ما في الأمر أنّه أشرف ليلة أمس على منزلك أيها الأمير.

يزيد: لكنّه لم يدخل علي ولم يشعرني بوجوده.

الحاجب: لقد سمع صوتاً أعجبه فاستخفه السماع فاستمع قائماً حتى تعب من القيام ثم دعا بكرسي فجلس عليه.

يزيد: كل هذا حدث أمس وأنا لا أعلم؟ أرجو ألا يكون ما فعلت قد أغضبه..

الحاجب: لو كان فيما فعلت ما يغضب أيها الأمير لبادر فوراً إلى الغاء المجلس.

يزيد: حسن..ألا تستأذن لي عليه؟

الحاجب: إنّه ينتظرك أيها الأمير.

يزيد: " فترة صمت " السلام على أمير المؤمنين.

معاوية: وعليك السلام ورحمة الله تعال يا يزيد وإجلس.

يزيد: علمت يا أبي أنّك ترغب في لقائي!

معاوية: هذا صحيح يا بني..قل لي: من كان جليسك البارحة؟

يزيد: أي جليس يا أمير المؤمنين؟

معاوية: أو تخفي عني شأنك يا يزيد؟

يزيد: أنت يا أمير المؤمنين أعلم بنزوات الشباب.

معاوية: أعلم هذا كله..لكن عرفني من هو صاحب الصوت فإنّه لا يخفى علي شيء من أمرك.

يزيد: " في تردد " إنّه سائب خاثر..وقد سمعت أنّه غنّى..

معاوية: " يقاطعه " غنّى لأمير المؤمنين..هذا صحيح فأمنحه يا بني من برك وصلتك فإنّي لا أرى بأساً في مجالسته..

يزيد: شكراً يا أمير المؤمنين..

نقلـــــة.....

سائب: هذا ما حدث على التحقيق في دمشق فانعقدت لي صلة وثيقة بأمير المؤمنين وبولده يزيد.

حصانان يقتربان من بعيـــد...

ابن جعفر: أيها السادة من قريش والأنصار..يبدو أنّ أمير المؤمنين قادم إلينا " صمت "..

قرشي: إسمع يا سائب.

سائب: نعم يا أبا محمد.

قرشي: هل ترى إلى هذا الطرف من الخز؟

سائب: بلى..إنّي أراه.

قرشي: إنّه لك إن أنت اندفعت تغني أمام أمير المؤمنين ومشيت بين السماطين في أثناء غنائك..

سائب: أفعل إن شاء الله..

أبو الفرج: روى المدائني قال: قتل سائب خاثر يوم الحرة وكان خشي على نفسه من أهل الشام فخرج إليهم وجعل يحدثهم ويقول: أنا مغنّ ومن حالي وقضتي كيت وكيت..وقد خدمت أمير المؤمنين يزيد وأباه قبله قالوا فغنِّ لنا نجعل يغني فقام إليه أحدهم فقال له: أحسنت والله! ثم ضربه بالسيف فقتله وبلغ يزيد خبره فعرفه فقال: ويله ما له ولنا! ألم نحسن إليه ونصله ونخلطه بأنفسنا ، فما الذي حمله على عداوتنا؟ لا جرم أن بغيه صرعه.

موسيقى نهاية..